

الكذبة الأولى

رانا اسامه

© حقوق النشر محفوظة

تصميم الديوان : جود حسناتو

facebook : Joud Hasanato

Email : Joud.Hasanato@Gmail.com

الكذبة الأولى

ديوان

الكذبة الأولى

راما أسامة



إهداء

الإهداء

إلى ألوانِ الفاكهةِ التي كنتَ تحبُّها
 إلى النّقطتينِ اليتيمتينِ اللّتين كنتَ تتركهما
 آخر كلِّ سطرٍ تكتبه
 إلى الشّهيدين اللذين فطرا قلبك
 وشاركانني به
 وأوجعاني به مثلما أوجعاك
 إلى أمك التي عذبتني قبل أن تعرفني
 بقدر ما حملت لها من المودّة
 إلى الأمان الذي سكبته عليّ أختك
 إلى كلِّ الشّعْر الذي خططته لي وما عرفته
 إلى الشّعْر الذي خططته لك
 ووضعته أمام عينيك
 ونصبته مقابلاً لهما
 إلى المطرقة التي ضربت بها شعري على رأسه
 وأعدته إليّ مكسوراً



إلى الجرح الذي رميته داخل فؤادي
وما رممته
إلى الجرح الذي رسمته خطوة خطوة وصمته
قطرة دم
قطرة شوق
وقطرتي حنين
إلى الجرح جرحي
الذي يقابل الناس
كل فجر بدلاً من وجهي
ويلقي عليهم تحية الصباح
إلى وجهي
وجهي الذي دفنته في صدرك
وما أعدته إلي
وجهي الذي
لم يقل لأمي
تصبحين على خير
منذ أن أخذت الخير معك
وتركت لي عوضاً عنه
جرحاً



لأكلّم النَّاسَ به
وإلى الجُزءِ منك فيّ





رجل خارق

قلبي يُوفّر أحرف اسمك
 يُكدّسها في قوارير ذهبية للحاجة
 يصبّ عليها سُكراً مَغْلِيّاً
 ويأمرُ السُّكر أن لا يؤذي حلاوتك
 يحشرُ قلبي أحرف اسمك
 بين كُتب أبي
 وفي علبة نظارته المُسنّنة
 علّه يَعرفُ أن هناك رجل آخر
 غيره
 خارق ... على سطح الأرض
 يَغسلُ قلبي اسمك
 مع آنية أمّي
 يتركه فوق الرفّ الزجاجيّ
 لتُلمّعه أمّي
 تلمّع أمّي اسمك في كل مرّة تتحدّث عن الصّهر المثاليّ
 الذي تتمنّاه



يقدم اسمك مشروع تخرجه
فوق شعري
يناقش موضوع القصيدة
ويصفق له الجمهور
ويصفق قلبي فرحاً برهينته





كذبة بيضاء

غداً سوف أراك مرةً أخرى
كما رأيتك اليوم
أحرص على أن ترتدي ذات الألوان
لأن الأزرق ... فوق صدغك
أنقى من لون الفجر
غداً ... سوف أجدك
تحدّث البائع في الدكان
عن حقّ التقادم
سأنسى - كما نسيتُ اليوم -
بردي وسترتي المبتلّة بالمطر
وأصابعي المرتجفة
وإخبارك إنني
أنا أيضاً ... أدرس القانون
سأخيّل ملامح وجهك
حين تعرف
و سأواجهك بعدها بالحقيقة الصادمة



حين تقول لي : أنا أحب القانون
وأقول لك
وأنا أيضاً .. أحبك
ثم سأتذكر أنني في الحقيقة
لم أخبرك
وسأكمل طريق عودتي للبيت
بينما أندم ...





هشاشة

لا ألدغ من جحر مرتين
 في المرة القادمة
 سوف أحبك فوق صفحة أرض
 لن أكرّر الخطأ
 صفحة أرض حقيقيّة
 حقيقيّة كامرأة تبيع ذهبها حاجة للمال
 حقيقيّة كطفل يعانق رداء أمّه
 ويشعر بالدّفء
 حقيقيّة كلون شاي
 يحرق يديك حين تلامسه
 ولا تمنعك عنه « شاشة »
 يا للهشاشة!
 للمرة القادمة هيأت خماراً فضياً
 أختبئ وراءه
 حين أخجل
 لأنك ستري العصافير الصّغيرة في عينيّ



تنادي عليك
حقاً

لا من وراء شاشة ..

أخاف عليها أن تطير .. وأن لا تحتمل الهشاشة
قطعة الأرض التي سأحبك
فوقها

مكتوبة باسم ال « لا موطن »

كي لا تفكر أن تهاجر

أو أن تكابر

أو أن تقول « صلب أنا »

فيما قلبك يقول « يا للهشاشة »





ردّ للجميل

حبّك يعلمني
كيف أكل قطع البسكويت الطريّة
من ثغر العصافير
وكيف أمرّ ... بأصابعي
فوق سطح الماء
دون أن أبتلّ
وكيف ... أقرأ الصّحف والجرائد والكتب

علمني قُربك
كيف يتفاعل المرء مع حَبّات المطر حين تغمره
وكيف يجرح المرء شعور الشمس حين تلفحه
لكن
هل علمتُك ... أن الشمس حين تلفح
لا تكون سوى عاشقة
وأنها ... تشعل نفسها أولاً
قبل أن تشعلك؟



عَرَّفَنِي بِعُذْكَ ... عَلَى أَجْنَحَةِ الْفَرَاشَاتِ
عَوَّدَنِي ... عَلَى مَلَاذِقَتِهِنَّ

دُونَ جَدْوَى

كَتَبَنِي

نَسَجَنِي

شَكَّلَنِي بِعُذْكَ

حَتَّى أَنَّنِي ... ظَنَنْتُ أَنِّي

قَبْلَكَ لَمْ أَكُنْ!

عَلَّمَنِي وَجُودَكَ

كَيْفَ أَجِدُ نَفْسِي

وَكَيفَ أُرْتَّبُ قَرَارَةَ نَفْسِي

وَكَيفَ أَبْعَثُ قَلْبِي

وَأَتْرَكَكَ تَجْمَعُهُ

لَكِنَّنِي الْآنَ ... أَخَافُ عَلَيْكَ

كَيْفَ هَكَذَا ... أَنْتَ الْيَوْمَ

لَا تَجِدُ مَنْ يَجْمَعُكَ؟!

وَكَيفَ بِبَسَاطَةٍ

يَنْسَى الْمَعْلَمَ مَا عِلْمُهُ؟



أخاف عليك ... هل تعلمت مني
أنني ... دائماً أسمعك؟
نادِ عليَّ
أردُّ بعضاً من جميلك ... وأرتبك





كل عام وأنت العمق

شتاء الخير !
 كل فصلٍ و كفاك لصّ بارع
 ينظف المكان قبل رحيله
 ويودّع ضحاياه
 ويترك ورداً كعربون شكرٍ على حسن الضيافة
 ونحن قوم أعراب
 كم مرة أحسننا للصوص الضيافة !
 كل فصل و كفاك جرح لا يندمل
 جرح يطفو ليلاً فوق أحواض الأسماك
 وينعكس في المرايا
 ويظهر في أثواب الأعراس
 والأزهار
 وأغراض الرضع
 كل ليل ماطر و كفاك حبتنا مطر
 تتغلغلان في عمق العمق
 تبللانه مع بداية كل شتاء



تعششان في الثنايا
وتتبخران
لكأن شيئاً ما كان
في أول الصيف

هذا الشتاء يا حبيبي يهجوننا
يبغض القصائد التي نسجناها فيه
ويبغض التمثيل في كلماتنا
ويمقت كل الشعراء
الذين قالوا يوماً « مطر »





ضلعك مني

يوجعني ضلعك ..

أحسُّ .. فيك

هذا الكون يجثم فوق صدرك

الباعة المتجولون يبسطون بضاعتهم فوق صدرك

ويصيحون ويقبضون ثمن المشتريات

ويرفعون الأسعار

ويحلفون بـ « الطلاق » ثلاثاً فوق صدرك ..

أحسُّ .. بشدة .. فيك

قفصك الصدريّ يحبس رئتيك

رئتك لا تغرّدان

تختنق في صميمك ويختنق ضلعي .. فيك

نساء حيّك

يحزمن السّجاد السّميك ويرفعنه عن الأرض

ويلبسن فساتين قصيرة مجدداً

يُرحبْنَ بالصّيف

والشّتاء ما يزال يقطن فيك ..



إنني .. أحسُّ فيك
هتافات أطفال المدارس الوطنيَّة
تنخر رأسك
ورأسي .. تأوي الأوجاع إليه !
أراقب نبضك خارج غرفة الإنعاش
أراقب نبضي ولا أملك ..
أن أصرخ بوجه الطَّبيب ..
ما معني أن تُحسَّ بقلب آخر غير قلبك ..
إلَّا أن يكون فيك !





دمشق تشد حبال الأرض نحوها

مدينتك تتواطأ مع مدينتي
تقول النشرة الجوية
إنها ستمطر في مدينتك
وفي مدينتي
وإنها ستعصف
في كليهما

مدينتك تتواطأ مع مدينتي
دمشق تشد حبال الأرض
نحوها
عل أرضك تقترب
دمشق ليلة أمس
أمسكتها متلبسة
تبتلع البحر
تهجر الأسماك من بيوتها
وتقلع النباتات المائية من جذورها



لعلها

من بيتك تقترب

دمشق المكسورة

مثل قلبك

والمحفوفة بالنيران

مثل وعدك

والمطحونة

والمسحوقة

والمرشوشة

ذكريات لا تُنسى ... فوق طبق مستقبلك

ومدينتك

كل يوم ... قبل أن أنام

أترك الرسائل البريدية

في صندوق بلدتك

وأدعوها لاجتماع طارئ

أصلي قيام الليل

لكي يُلين الله قلبها



كلّ فجر

أحتسي قهوة دبلوماسيَّة معها

وأفاوضها

لتعيدك نحو مدينتي

فتبكي عليّ

وعليك

وتشدُّ الحبلُ أكثر

صوبها

والمسافات التي فيما بيننا

تندب حظَّها

يا تحسها ... أمام عينيك المسافات





ما عاد بالإمكان

منذ بداية الحرب ... إلى اليوم
خمس سنوات
فيهنّ
طالت قامتي قرابة السبعة سانتيمترات
سانتيمتر واحد
لأجل الرصاصتين في قلب ابن الجيران
قبل أن يتخرّج من جامعته
وسانتيمتران
لأجل الجدة التي ودّعت بيتها في الرّيف
وهاجرت نحو المدينة مع كومة قليلة
من الملابس
وأكوام لا تعدُّ ولا تحصى من البؤس

منذ بداية الحرب
حتى يومنا هذا
سانتيمتر لأجل أفواج الجياع



والمحاصرين
والعطشى
وثلاثة سانتيمترات
لأجل ضحايا البحر
لكن المشكلة ليست في أن قامتي
ما زالت قصيرة الطول
بل في أنه .. ما عاد بالإمكان
أن أصير أطول !
ما عاد بإمكان القلب .. أن يضخ الدّم
نحو مسافات أكبر ...





أخاف اعترافي

وأخاف أن أدعو لك
ويغيب اسمي عن دعائك
وأخاف أن يتنفس الصبح وقلبي معك
وقلبك الكبير يتسع للدنيا
ويضيق عن روعي وجفني
أخاف أن ينام الضحى
فوق التلال
وينام حُبَّك معه
وأن أصحو ... بكلِّ ضعفي
وكلِّ تعبتي
بينما النوم يسكنك
أخاف يا عزيزي ... أن أسألك
كيف الشوق؟
وتقول لي .. « تركته معك »
وأشكُّ أن الشَّوق فيَّ من شوقي وحده
وأن شوقك أنت يوم هجرتني



سكنَ فؤادي أنا
وأعتقكُ
وأخشى من عيني
والعين تفضح المَحَبَّ
أن تنادي عليكَ
وقتما أكونُ بحضرتكُ
وأخشى من عيني
أن تعصركُ
أن تضمَّك ضمَّ المجانين
وأن تؤلمكُ
وأخاف منكَ على عيني
لأنك معتاد
أن تردّه مكسوراً
من يعشقك





الكذبة الأولى

التاسعة صباحاً

بتوقيت دمشق

جارنا العجوز ينادي على زوجته : « يا حبيبتي منذ ستين
عاماً، حضري لي الإفطار »

ويتجه بنشاط شاب في العشرين

نحو المطبخ .. ليساعدها!

التاسعة صباحاً

بتوقيت دمشق

قهوة امرأة أربعينية

تغلي ببطء

ورائحة البن تصل إلى ابنها

المتجه ... نحو جامعته

يقول: صبي لي فنجاناً يا أمي

سأشربه عندما أعود

ولا يعود!



يقفز برعونة نحو البيت المقابل لبيتهم
 ويقول في سره : جهزي قلبك يا حبيبتي
 سأتناوله مع القهوة هذا الصباح
 ويقطف زهرة متواضعة
 ليزين بها القلب الذي سيأكله
 ولا يأكله
 لأنه كان دائماً يقف عاجزاً عن تقديم الزهرة
 لحبيبته

التاسعة صباحاً
 بتوقيت دمشق
 وأنا أجلس أمام كتابي الصغير
 يفترض بي أن أدرسه
 ولا أدرسه
 أنا لا أحبُّ الجغرافيا
 تضاريسك .. ومناخك
 أولى بأن أحبّها



الشعر المبعثر فوق رأسك أولى بأن أدرسه
والشعر الخجول فوق قلبك
أولى بأن أرتبه
حرفاً .. حرفاً
وفاصلة

التاسعة وخمس عشرة دقيقة
على يمين الصفحة أرسم صورة
بسيطة .. لعينيك
وعلى اليسار .. أرسم اسمك
واسم أمك
واسم أختك
وشجرة العائلة
وتأتيني أمي بقطعة حلوى
تقول إنه يجب أن آكل شيئاً
ولا آكل

تعاطفاً مع ابن الجيران وزهرته الوحيدة وحبيبته
المنتظرة ..



التاسعة والنصف صباحاً
بتوقيت دمشق
لا أراك .. لكنني أعلم أنك الآن
تجمع أوراقك
وتتجه نحو اجتماع الصُّباح
لأنك لا تنتهي من الاجتماعات
والآن ..
العاشرة والنصف صباحاً بتوقيت دمشق
الأرض لا تكفُّ عن الدوران
وأنا ما زلت أحبُّك ..





مَلاذُ

قلبي كبير ..
قلبي يتسع لضخامتك
لأصابعك الثَّخينة
للمسافة الشَّاسعة بين منكبيك
لكل شعرة طائشة من لحيتك ، سرير خاص فيه

قلبي كبير
رفوف قلبي طويلة .. طول الأميال بيننا
عيون قلبي .. تقرأ لعينيك « المعوذات »
وقلب قلبي ... يرقيك !

لقدك الميَّاس .. « يا عمري »
عُمر .. كُتِبَ له أن يحياه فيه
لجوع سنواتك العجاف
لظماً عشرين عاماً



لقهر عشرين سجّاناً
ولللندبة فوق حاجبك
حروب انتصار .. فيه
لجفاف شرابينك الممتدة
مصبات .. وينابيع
وكروم تُسقى .. على الضفتين
ما كلّ الملاجئ تُحفر تحت الأرض
بعضها
يكون في أرواح المحبّين ...





قلب رقيق

قلب رقيق
لا تخرنك القوة في العينين
أبصر فيهما
حزن التراب
أبحر فيهما .. واسأل
كيف تموت الأرض
في عز الحريق !

قلب رقيق
لا تخرنك العذوبة في الصّوت
والطفولة في الصّوت
والأنوثة في الصّوت
واستمع .. للبّحة المدفونة
لأصوات الغارقين
والمستنجدين



والمعذِّبين .. فيه

قلب رقيق
المس في الصدر
برد الشتاء
ولا تعجب من الدَّفء في الكفِّين
إنَّ الثَّلوج
تهطل في تمّوز
وفي كانون
وفي نيسان
كلَّ الفصول سواء
طالما .. أنك الآن تَشْكُ
هل تنتمي بأوجاعك
لعالم الغاب أم لعالم الإنسان؟!





بعيداً عن عمرك

أحياناً يحدث أن يكون المرء
بعيداً عن عُمره
بعيداً بمدنٍ ... وعواصمٍ ... وآلاف الكيلومترات
عن عُمره ... وحياته
كأن يسكن هو في لندن
جسده مقيم في لندن
سجائره من دكاكين لندن
الشاي الذي يتناوله مع الفطور
فيه عبق لندن
بينما يقيم عُمره في دمشق ..
كأن يستوطن هو باريس
والبنديّة
وعمان
وبيروت
كأن يحرث أرضاً له في الجزائر



ويصلح سيّارة له في ميونخ
ويصاب بالأم المعدة
جاء تناول كميات كبيرة من الشوكولا السويسريّة
بينما يختبئ عمّره خلف زاويةٍ من زوايا دمشق

أحياناً
يحدث أن ينام الإنسانُ
فوق فراشٍ حَفِظَ تفاصيلَ جَسَدِهِ
بينما تتقلب الرُّوح بين جنبي فراشٍ آخر
يحدث مرّاتٍ
أن تَرُكْنَ رأسك إلى جدارٍ صَلْبٍ جداً
إلى جدارٍ في برج خليفة مثلاً
أن تستند عليه
أن ترمي بكل حمولة كتفيك عليه
لكنك ترى أن الجدار في بيتك
كان أقوى
جدار بيتك لم يكن أقوى



أنت كنت أصلب
حمولتك ما كانت يوماً بهذا الثقل

يحدث غالباً
أن تبكي
دمعتان تكفيان
لتبلاً خدك وتُظهِركَ باكياً
وسيل الدموع داخلَكَ
لا يراه أحد

يحدث غالباً
أن تبكي .. ويكونُ منبعُ دمعك
قلبك ... لا عينيك
يحدث أن تبكي
وينبع المِلْحُ المبلل من دمشق
صوب خديك
من بيتك ... وجدار بيتك



من كتبك
من أقلامك
من الفتيات اللواتي أحببتهن .

يحدث أحياناً
أن تحتاج طائراً
تحمل عُمرَكَ
وقلبك ومنبع دمعك
وبقاياك المتناثرة ... إليك





راما أسامة

دمشق ٢٠١٦/٤/١٠

Email : banialmarjehrama@gmail.com

Facebook : <https://www.facebook.com/rama.bm97>



راما أسامة

دمشق / 1997

تَعَلَّمَكَ الحرب كيف تكون خالداً ؛ تعكسُ لك جنبك
وخوفك وتفاهتك المُخبَّاة ..

يَعَلِّمُكَ شهداءُ الحرب « كيف تحيا »
أنتَ الذي كنتَ تهربُ من وجوههم ، ومن
أسمائهم
تجدهم في يوم من الأيام .. دعائم ذاكرتك

أنتَ الذي كُنْتَ تحلم بالحياة طيلة الوقت
ما كنتَ تعرف؛ أن هنالك من يتلَعَّها و يعيشها
بتفاصيلها الحقيقية .

تُعَلِّمُكَ الحرب كيف تكون شفافاً .. شفافاً لدرجة أن
زوجتك سترى فيك أعين النساء اللواتي انهزمن
أمامك
وأنت ضعيف؛ كضعف زوجتك عن ضمك و تجاهل
النساء .

تَصْهَرُكَ الحرب وتُنسى أنك كنتَ رجلاً له كيان و
وجود قبلها ، تعجنك من جديد كما تريد هي ذلك .
تطيعها .. وتَجعل هي منك « كائن حرب »
ثم ترضى عنك؛ وتتركك تنجو ..
تظن أنك الآن محظوظ جداً ، ولا تدرك أن الناجين
الوحيدين هم الشهداء إلا .. بعد فوات الأوان

راما أسامة

صورة الغلاف : ميادة يوسف زيدان / Mayada Zaidan

تصميم الغلاف : جود حسناطو / Joud Hasanato